الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة: الرجاء المسيحي

الأربعاء، 1 مارس / آذار 2017

زمن الصوم الأربعيني كمسيرة رجاء

ساحة القديس بطرس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

في هذا اليوم، أربعاء الرّماد، ندخل في الزمن الليتورجيّ الخاصّ بالصوم الأربعيني. وإذ نقوم بسلسلة التعاليم حول الرجاء المسيحيّ، أودّ اليوم أن أقدّم لكم الصوم الأربعيني كمسيرة رجاء.

في الواقع، إن هذا المنظور واضح جدًّا إذا فكّرنا أنّ زمن الصوم الأربعيني قد أُقيم في الكنيسة كزمن تحضير لعيد الفصح، وهذا بالتالي يعني أنّ كلّ معنى فترة الأربعين يوما هذه يستنير من السرّ الفصحيّ الموجّه نحوه. يمكننا أن نتصوّر الربّ القائم من بين الأموات وهو يدعونا للخروج من ظلماتنا، ونحن ننطلق بمسيرة نحوه، والذي هو النور.الصوم هو مسيرة نحو يسوع القائم من الموت، هو زمن التوبة والإماتة التي ليست هدفا بذاتها، إنما غايتها هي أن تُقيمنا مع المسيح، وأن تجدّد هويّتنا كمعمّدين، أيّ أن نولد من جديد "من فوق"، من محبّة الله (را. يو 3، 3). لذا فإنّ زمن الصوم الأربعيني، بطبيعته، هو زمن رجاء.

وكي نفهم بشكل أفضل ما معنى هذا، علينا أن نعود إلى الخبرة الأساسيّة لخروج الإسرائيليين من مصر، والتي يقصّها الكتاب المقدّس في السِفْر الذي يحمل الاسم التالي: سِفر الخروج. نقطة الانطلاق هي حالة العبوديّة في مصر، والظلم، والسخرة. لكن الربّ لم ينسَ شعبه ووعده: يدعو موسى، ويُخرج الإسرائيليّين من مصر، بذراعٍ قوي، ويقودهم عبر البرّية نحو أرض الحرّية. ويعطي الربُّ الشريعةَ للإسرائيليين أثناء هذه المسيرة من العبودية إلى الحرّية، بهدف تربيتهم على محبّته هو، الربّ الأوحد، وعلى محبّة بعضهم البعض كإخوة. ويُظهرُ الكتابُ المقدّس أن الخروجَ من مصر كان طويلًا وشاقًّا: لقد دام رمزيًّا أربعين عامًا، أيّ فترة حياة جيلٍ كامل. جيل يميل، إزاء مصاعب المسيرة، إلى التحسر على مصر، والعودة إلى الوراء. ونعرف كلنا تجربة العودة إلى الوراء، كلنا. لكن الربّ يبقى أمينًا، ويَصِلُ هؤلاء المساكين، تحت قيادة موسى، إلى أرض الميعاد. وقد تحقّقت كلّ هذه المسيرة بالرجاء: رجاء الوصول إلى الأرض، وبهذا المعنى بالذات هي "خروج"، خروج من العبودية إلى الحرّية. والأربعون يومًا هم أيضًا بالنسبة لنا جميعا خروج من العبودية، من الخطيئة، إلى الحرية، إلى اللقاء مع المسيح القائم من الموت. كلّ خطوة، كلّ تعب، كلّ تجربة، كلّ سقوط وكلّ بداية جديدة، كلّ هذا له معناه فقط ضمن تدبير الله الخلاصيّ، الذي يريد لشعبه الحياة لا الموت، الفرح لا

الألم.

إن فصح يسوع هو خروجه، الذي فتح به لنا الطريق نحو ملء الحياة، الأبدية والمليئة بالطوبى. وكي يفتح هذه الطريق، اضطر يسوع أن يتخلّى عن مجده، وأن يضع نفسه، وأن يطيع حتى الموت، والموت على الصليب. وقد كلّفه فتح الطريق نحو الحياة، دمَه كلّه، وبفضله هو قد أُنقِذْنا من عبودية الخطيئة. ولكن هذا لا يعني أنه قد تمّم هو كلّ شيء ولا يتوجّب علينا القيام بأيّ شيء، أي أنه قد اجتاز الصليب ونحن "ندخل الفردوس بالعربة". ليس الأمر هكذا. إن خلاصنا هو بالتأكيد هبة منه، إنما، ولأنها قصّة حبّ، يتطلّب منّا الـ "نعم"، يتطلّب مشاركتنا في محبته، كما تُبيّنه لنا أمّنا مريم والقدّيسون جميعهم من بعدها.

إن زمن الصوم الأربعيني يقوم على هذه الديناميكية: المسيح يسبقنا بخروجه، ونحن نعبر البرّية بفضله وعلى أثره. لقد جُرِّبَ من أجلنا، وغلبَ الشرّير من أجلنا، لكن علينا نحن أيضًا أن نواجه التجارب معه ونتغلّب عليها. هو يعطينا ماء روحه الحيّ، ونحن علينا أن نستخرجها من النبع ونشرب، في الأسرار، وفي الصلاة، وفي السجود؛ هو النور الذي يتغلّب على الظلمة، ويُطلَب منّا نحن أن نوقد الشعلة الصغيرة التي عُهِد بها إلينا يوم معموديتنا.

فالصوم الأربعيني هو بهذا المعنى "علامة أسراريّة لتوبتنا" (*كتاب القداس بحسب الطقس اللاتيني الروماني*، صلاة الجماعة لأول أحد من زمن الصوم)؛ من يمضي في مسيرة الصوم، يسير على درب التوبة على الدوام. الصوم هو علامة أسراريّة لمسيرتنا من العبودية إلى الحرّية، مسيرة يجب أن تكون في تجدّد دائم. مسيرة صعبة بالتأكيد، ومن العدل أن تكون صعبة، لأن المحبّة متطلّبة، إنما مسيرة مفعمة بالرجاء. لا بل أزيد: الخروج الأربعينيّ هو المسيرة التي فيها يتكوّن الرجاء. تعب عبور البرية –كلّ المصاعب، والتجارب، والأوهام والسراب،...- كلّ هذا إنما هو ليقيم رجاءً أقوى، رجاءً وطيداً، على غرار رجاء مريم العذراء، التي ما برحت، وسط ظلمة آلام ابنها وموته، أن تؤمن وترجو قيامته وانتصار محبّة الله.

لندخل اليوم في زمن الصوم الأربعيني، ونحن نفتح قلبنا على هذا الأفق. ولنبدأ مسيرة الرجاء هذه بفرح، ونحن نشعر بأننا ننتمي إلى شعب الله المقدّس.

* * * * * *

Speaker:

تكلم اليوم قداسة البابا عن زمن الصوم الأربعيني كمسيرة رجاء، منطلقا من خبرة خروج الإسرائيليين من مصر: كمسيرة انطلاق من حالة العبودية، إلى مسيرة عبور للبرية لمدة أربعين سنة، وحتى الوصول إلى أرض الحرية. إنها مسيرة طويلة وشاقة وممتلئة بالصعاب والتجارب، ولكنها أيضا مسيرة نمو في الإيمان وفي الرجاء وفي الحرية وفي فهم محبة الله الأمين لعهده برغم عدم أمانة الشعب. إنها مسيرة تحققت بفضل الرجاء: رجاء الوصول إلى أرض الموعد. مسيرة يقودها الله نفسه عبر موسى النبي وعبر رجالاته القديسين، ولكنها مسيرة لا تتحقق إلا عبر استجابة الشعب الحرة. فخلاص الله يكتمل عبر استجابة الإنسان وتفاعله، وأمانته، وتوبته إن سقط في التجارب. وأوضح البابا كيف أن يسوع قد حقق بفصحه خروجا جديدا فاتحا لنا، بموته على الصليب وبقيامته من بين الأموات، الطريق نحو ملء الحياة الأبدية بثمن دمه الكريم. هذا يعني أن يسوع قد جرب من أجلنا، وغلب الشر من أجلنا، لذا فعلينا نحن أيضا أن نواجه التجارب معه ونتغلب عليها مستمدين قوة من ماء روحه الحي والذي يتدفق في الأسرار والصلاة والسجود. إن الصوم بهذا المعنى هو مسيرة من العبودية إلى الحرية يتشكل ويتكون فيها الرجاء: وهو رجاء وطيد بانتصار المحبة وبالقيامة.

* * * * * *

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale saluto ai pellegrini di lingua araba, in particolare a quelli provenienti dall'Iraq, dalla Giordania e dal Medio Oriente. La Quaresima è un *cammino di speranza*: la speranza di raggiungere la Pasquala attraverso il deserto del digiuno e della mortificazione; un *cammino di fede*, ove si sperimenta la fedeltà dell'amore di Dio che non ci abbandona mai; un *cammino di penitenza* ove la salvezza si realizza e si compie attraverso la risposta libera dell'uomo; un *cammino di liberazione* dagli idoli del mondo per giungere alla libertà dei figli di Dio; un *cammino di vittoria* sulle tentazioni con l'aiuto della preghiera e dei Sacramenti. Vi auguro buona Quaresima! Il Signore vi benedica tutti e vi protegga dal maligno!

* * * * * *

Speaker:

أرحب بالحجاج الناطقين باللغة العربية، وخاصة القادمين من العراق ومن الأردن ومن الشرق الأوسط. إن الصوم الأربعيني هو *مسيرة رجاء*: رجاء الوصول للقيامة عبر صحراء الصوم والإماتة؛ وهو *مسيرة إيمان* حيث نختبر أمانة محبة الله، والتي لا تتخلى عنا أبدا؛ وهو *مسيرة توبة* حيث يتم ويتحقق الخلاص عبر استجابة الإنسان الحرة؛ وهو *مسيرة تحرر* من عبودية أصنام العالم إلى حرية أبناء الله؛ وهو *مسيرة انتصار* على التجارب بفضل الصلاة وممارسة الأسرار المقدسة. أتمنى لكم زمن صوم أربعيني مبارك! وليبارككم الرب جميعا ويحرسكم من الشرير!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2017

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana